الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح هم القدوة في الدين[1]

الرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لأن الله تعالى زكاهم؛ ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راض، وهم حملة الدين علماً وعملاً فقد نقلوا لنا القرآن وسنة النبي ﷺ وعملوا بمقتضاهما، ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين.

فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجمعوا إلا على حق، بخلاف غيرهم من الطوائف والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق فإنهم قد يجتمعون على الضلالة.

ثم السلف الصالح من: التابعين وتابعيهم، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، هم القدوة بعد الصحابة؛ لأنهم كانوا على منهاج النبوة وسبيل الصحابة لم يغيروا ولم يبدلوا.

وعلى هذا المنهج سار أئمة الدين، وأهل السنة إلى يومنا، وإلى أن تقوم الساعة، ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة، ومقتفون لأثر النبي ﷺ، والسلف الصالح ـ والحمد لله ـ،

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص ٨٧.

وسبيل هؤلاء (السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين)، هو سبيل المؤمنين الذي توعد الله من يتبع غيره، وجعل اتباع غيره مشاقَّة للرسول ﷺ ومن موجبات النار، نسأل الله العافية، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وبذلك يتقرر أن سب الصحابة والسلف الصالح والطعن فيهم، طعن في الدين الذي جاء به النبي ﷺ، كما أنه خيانة للأمة وعامة المسلمين؛ لأنه طعن في خيارها وقدوتها؛ ولذلك عمد أهل الأهواء والبدع والافتراق إلى الطعن في الصحابة والتابعين والسلف الصالح أو بعضهم كما سيأتي بيانه.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي فحسب)[١]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿.. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ..﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[٢].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

---

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص٨٨، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص ١٣، ١٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).

(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بهامدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلاتدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: (منَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم)[1].

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: (عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح جـ ١٣، صـ٥٠٨.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) ٢ / ١٠٧١ وقال المحقق إسناده صحيح، وانظرتاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ ـ ١٦٠)/ ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السنة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي(الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، و العموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولايجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبيِّن، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٧ ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة

والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ - يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ - ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

عبارة: (أهل السنة والجماعة) وصف شرعي[١]

زعم بعض أهل الأهواء (قديماً وحديثاً) أن أهل السنة والجماعة، وصف أطلقه السلف على أنفسهم وأتباعهم والحق أن: أهل السنة والجماعة وصف شرعي لأهل الحق الذين يتمكسون بالسنة حين يخرج عنها أصحاب السبل أهل الأهواء والبدع والافتراق، وأهل السنة هم الطائفة التي تبقى على الحق ظاهرة كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[٢].

فقد نص حديث رسول الله ﷺ هذا على أن هذا الدين سيبقى ممثلاً بطائفة، وهي الفرقة الناجية، التي استثناها الرسول ﷺ، من الفرق الهالكة عند الافتراق والاختلاف في الدين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وغيره أنه ﷺ قال: « **تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[٣].

---

(١) راجع رسالة (مفهوم السنة والجماعة) للمؤلف ـ مطبوعة.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم رقم(١٩٢٠)، والبخاري رقم(٣٦٤٠، ٣٦٤١).

(٣) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح (٥ / ٢٥)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وأخرجه أحمد في المسند (١ / ١٢٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، راجع كتاب السنة (٣٢، ٣٣، ٣٤).

وقد أجمع أهل العلم وأئمة الهدى، على أن هذه الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة.

وأهل السنة والجماعة هم: الصحابة والتابعون والسلف الصالح وأئمة الهدى، أهل الحديث والعلم والفقه في الدين في القرون الثلاثة الفاضلة، ومن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم، ولم يحدث ولم يبتدع في الدين ما لم يكن من هديهم، لأنهم كانوا على المحجة البيضاء، على بينة من ربهم، لم تعصف بهم الأهواء والفتن، ولم تحرفهم البدع عن العروة الوثقى والصراط المستقيم.

وأهل السنة هم كل مَنْ هو على ما كان عليه الرسول ﷺ، وأصحابه و التابعون، في الهدي الظاهر والباطن.

وهدي الرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح بين واضح، منقول مسطور محفوظ، هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، كما فهمها وعمل بها السلف الصالح، وأتباعهم.

ورغم وضوح هذا الأمر، فإن الكثير من المسلمين في هذا العصر مع اختلاط الثقافات، وانتشار البدع، واستعلاء الفرق والمذاهب الضالة، وظهور التيارات التي تشكك في المسلَّمات، جعلوا كثيراً من أمور دينهم وعقيدتهم.

وكان مما أصبح مجهولاً لدى الكثير من المسلمين: مفهوم أهل السنة والجماعة، وأصولهم؛ وهديهم، مما جعل بعض الجاهلين يدعي: أن أهل السنة تاريخ مضى.

أو أنه ليست هناك طائفة يصدق عليها هذا الوصف.

أو أن مناهج السلف إنما هي أصول نظرية مثالية.

أو أن المسلمين جميعاً على مختلف مشاربهم على السنة.

أو أن مناهج السنة عفا عليها الزمن، ولابد من البدائل بالتجديد.

أو أن أئمة السلف الصالح هم الذين اخترعوا لأنفسهم هذا الوصف.

أو أن وصف أهل السنة لم يعد يصدق على أحد؛ لأن الكل يدَّعيه ولا يُسَلَّم له ذلك.

كما ظهرت أخيراً دعاوى، ومزاعم وشعارات من قبل أهل الأهواء وبعض الفرق والجماعات، التي تخالف السنة والجماعة، بأنها هي أهل السنة والجماعة، أو أنها منهم أو تنتمي إليهم، وهذه مزاعم عريَّة من الدليل والبرهان، وإليك بيان ذلك:

مفهوم أهل السنة والجماعة
الشرعي والاصطلاحي

عند التأمل لمعاني السنة، ومعاني الجماعة، كما وردت في النصوص الشرعية، وكما عبر عنها وفهمها السلف؛ نجد أنه يتحدد بوضوح المفهوم السليم لأهل السنة والجماعة.

من هم؟ وما صفاتهم؟ وما منهجهم؟ وعليه فإنا نستطيع أن نعرِّف أهل السنة من وجوه متعددة، من خلال صفاتهم وسماتهم، ومنهجهم، ومن خلال تعريف السلف لهم، أي من خلال تعريفهم هم بأنفسهم، فأهل الدار أدرى بما فيها وأهل مكة أدرى بشعابها.

ومن هذه الوجوه التي يمكن أن نتعرف بها على أهل السنة:

أولاً: أنهم هم صحابة رسول الله ﷺ، فهم أهل السنة الذين عَلموها، ووعوها وعملوا بها، ونقلوها، وحملوها، رواية ودِراية، ومنهجاً، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة لسبقهم إلى السنة علماً وعملاً وزمناً.

ثانياً: يليهم كذلك أتباع صحابة رسول الله ﷺ، الذين أخذوا عنهم هذا الدين، ونقلوه وعَلموه وعَملوا به، من التابعين وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلَى يوم الدين، فهم أهل سنة

رسول الله ﷺ الذين تمسكوا بها، ولم يبتدعوا ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ثالثاً: وأهل السنة والجماعة هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة العاملون بهدي رسول الله ﷺ[١]، المتبعون لآثار الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، المقتدى بهم في الدين، الذين لم يبتدعوا ولم يبدلوا، ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه.

رابعاً: أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق وهم الطائفة الظاهرة والمنصورة إلى قيام الساعة[٢] لأنهم هم الذين ينطبق عليهم قول النبي ﷺ: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** »[٣] وفي لفظ: « **لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله...** » الحديث[٤].

خامساً: هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع، وفسد الزمان، أخذاً من قوله ﷺ: « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء** »[٥] وقال ﷺ: « **طوبى للغرباء،**

---

(١) انظر مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٣/ ١٥٧).
(٢) المرجع السابق.
(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٩٢٠-١٩٢٣).
(٤) أخرجه مسلم، برقم (١٠٣٧).
(٥) أخرجه مسلم، برقم (١٤٥).

أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[١]، وهذا الوصف إنما ينطبق على أهل السنة.

سادساً: وهم أصحاب الحديث رواية ودراية علماً وعملاً لذلك نجد أن أئمة السلف فسروا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، بأنهم: (أصحاب الحديث) فقد روي ذلك عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري وابن المديني، وأحمد بن سنان[٢]، وهذا حق فإن أصحاب الحديث الجديرين بهذا الوصف هم أئمة أهل السنة.

قال الإمام أحمد في الطائفة المنصورة: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: (إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث)[٣] قلت: وعامة المسلمين الذين على الفطرة والسلامة ولم يسلكوا مسالك الأهواء والبدع، هم على السنة، وهم تبع لعلمائهم بالاهتداء والاقتداء.

---

(١) قال الألباني في صحيح الجامع الصغير - صحيح - (١ / ١٢) برقم (٣٨١٦).

(٢) انظر فتح الباري، لابن حجر، (١٣ / ٣٩٣)، والترمذي (٤ / ٥٠٤) برقم (١٠٥٠٥)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة التعليق على الحديث(٢٧٠) جزء (٣ / ١٣٦ - ١٣٧).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ/ عبدالله الغنيمان (٢ / ٢٣٨).

لماذا سموا بأهل السنة والجماعة؟

سُمِّي أهل السنة بذلك: لأنهم الآخذون بسنة رسول الله ﷺ العاملون بها، العاملون بمقتضاها، والمتمثلون لقول الرسول ﷺ: « **عليكم بسنتي**»[(١)]، فالسنة هي: ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، من الشرع والدين، والهدي الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون، ثم تابعوهم ثم أئمة الهدى العلماء العدول، المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم القيامة[(٢)].

ومن هنا صار أهلُ الحق المتبعون للسنة: أهل السنة فهم الجديرون بذلك على الحقيقة.

أما تسميتهم بالجماعة: فلأنهم أخذوا بوصية رسول الله ﷺ بالجماعة، فاجتمعوا على الحق، وأخذوابه، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المستمسكين بالسنة، من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولأنهم أجمعوا على الحق، وعلى اتباع الجماعة، أهل السنة والحق، ولأنهم دائماً ـ بحمد الله ـ يجتمعون على أئمتهم، ويجتمعون على الجهاد، مع ولاة المسلمين، وعلى

---

(١) السنة، لابن أبي عاصم، الحديث(٥٤)، وصححه الألباني، وأخرجه الترمذي (٢٦٧٨)، وأبو داود(٤٦٠٧) وغيرهم.

(٢) انظر مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٣/ ٣٥٨).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجتمعون على السنة والاتباع، وترك البدع والأهواء والفرق، فهم الجماعة التي عناها الرسول ﷺ ووصفها وأمر بالأخذ بها.

وأخيراً نصل إلى نتيجة بينة واضحة وهي أن: (**أهل السنة والجماعة**) اسم ووصف استمد:

أولاً: من سنة الرسول ﷺ، حينما أمر بالسنة وأوصى بها «**عليكم بسنتي**»، وحينما أمر بالجماعة وأوصى بها، ونهى عن خلافها ومفارقتها، والخروج والشذوذ عنها، فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول ﷺ ووصفهم بذلك.

ثانياً: استمد من آثار الصحابة، والسلف في القرون الفاضلة، من قولهم ووصفهم وحالهم، فهو اسم ووصف أجمع عليه أئمة الهدى، وسموا به أهل الحق ووصفوهم به وتلك آثارهم شاهدة ناطقة في مصنفاتهم في كتب السنن والآثار.

ثالثاً: أن مصطلح أهل السنة والجماعة وصف شرعي وواقعي صادق ومعبر، يتميز به أهل الحق عن أهل البدع والأهواء، وهذا بخلاف ما يظنه البعض من أن (أهل السنة والجماعة)، إنما هو اسم أحْدث عبر السنين، وأنه لم يعرف إلا بعد الافتراق، والحق أنه اسم شَرعي مأثور عن سلف هذه الأمة، منذ عهد الصحابة والتابعين، والصدر الأول والقرون الفاضلة.

أما ما يقوله بعض أهل الأهواء من أن أهل السنة يقصرون السنة والسلفية عليهم؛ وأنهم يقصدون بالسلف الصالح: من كان على مذهبهم فهذا صحيح، وهو الحق، وليس عيباً ولا خطأ، فإن السلف الصالح هم أهل السنة والعكس كذلك شرعاً وواقعاً كما أسلفت فمن لم يكن على مذهب السلف ولم يسلك منهجهم وسبيلهم فهو مفارق للسنة والجماعة.

كما نقول لهؤلاء المفتونين، وتلكم النابتة التي تتنكر للسنة وأهلها: هذه هي السنة، وهؤلاء هم أهلها، أهل السنة والجماعة، فإن أعرضتم وأبيتم قول الحق، فليس لنا معكم إلا مقولة نوح عليه السلام للمعرضين: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

وهل هم محصورون في مكان أو زمان؟

أهل السنة والجماعة لا يحصرهم مكان ولا زمان، إنما قد يكثرون في بلد ويقلون في آخر، وقد يكثرون في زمان، ويقلون في زمان[1] لكنهم لا ينقطعون.

(١) انظر فتح الباري (١٣ / ٢٩٥)، وشرح كتاب التوحيد للشيخ/ عبدالله الغنيمان (٢ / ٢٤٠).

ففيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى ، وحجة الله على الخلق إلى أن تقوم الساعة، وبهم يتحقق وعد الله بحفظ الدين.

وبهذا يتبين من هم أهل السنة والجماعة، ومن هم السلف الصالح، وأن دعاوى الفرق المفارقة للسنة والجماعة، بأنها من أهل السنة والجماعة، وانتحالها للسلف الصالح أو بعضهم، مردودة بالضوابط الشرعية، والأصول العلمية، والحقائق التاريخية.

كما تسقط دعوى أن المسلمين كلهم على السنة فهذا تكذيب لخبر الله ورسوله ﷺ بأن الافتراق حاصل، ومكابرة وتكذيب للواقع.

وكذا بقية الدعاوي.

وعليه: فالسنة ليست حزباً ولا شعاراً ولامذهباً يتعصب له، بل هي ميراث النبوة ومنهاجها، والصراط المستقيم، والعروة الوثقى، وسبيل المؤمنين، والواضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاهالك.

وما يخرج عن ذلك من الأخطاء والزلات والبدع التي تحدث من أهل البدع أو من المنتسبين للسنة، فليست من السنة في شيء، ولا تحسب على المنهج الحق.

أصول الدين (العقيدة) هي أركان الدين وقطعياته

أصـــول الدين هي كل مـــا ثبت وصح من الدين، من الأمور الاعـتـقـادية العلمـيـة والعـمليـة، والغـيـبـيـات الثـابتـة بالنصوص الصحيحة.

أصـول الدين ليـســت مـحـصـورة بـ(أركـان الإيمـان وأركان الإسلام).

أركـان الإيمان السـتـة وأركـان الإسـلام الخـمـسـة، جـاءت مجملة وجاءت مفصلة، وكل ذلك بنصوص قطعية، وكل هذه القطعيات لابد للمسلم الذي تبلغه أن يعتقدها جملة وتفصيلا، ولا يشك فيها أو يعارضها، ولا يردها أو يضيق بها.

فـالإيمان بـالله تعـالى وهو الركن الأول من أركـان الإيمان وهو مـقـتـضى شـهـادة أن لا إله إلا الله (الركن الأول من أركان الإسلام) لايصح من المسلم، حتى يسلِّم بتـفـاصيله وقواعـده القطعية، مثل أسماء الله وصفاته وأفعاله الثابتة بالنصوص، ومثل عـبادة الله تعالى وحـده وعـدم الشرك به وطاعـتـه وطاعة رسـوله ﷺ، واعـتـقـاد خـلاف ذلك والشك فـيـه أو ردِّه ينافي الدين والعقيدة.

وكذلك الإيمان بالملائكة لا يصح من المسلم حتى يسلِّم بما صح من أخبارهم وأوصافهم وأعمالهم وأسماء من وردت أسماؤهم، مثل كونهم عبادٌ لله تعالى، لا يعصون ولهم أجسام، وهم ذوو أجنحة، ويكتبون، ويصعدون وينزلون، ويطوفون. . وغير ذلك مما ثبت بالنصوص القطعية.

ولذلك نجد أهل الأهواء من الفلاسفة والعقلانيين ونحوهم، حينما وقفوا عند الإيمان المجمل قالوا بما يصادم النصوص القطعية، مثل زعمهم أن الملائكة ليس لهم وجود حقيقي، أو ليس لهم حقيقة ذاتية، إنما هم نوازع الخير في الإنسان!! أو أنهم الأخيار من البشر، ونحو ذلك من التأويلات.

وكذلك الإيمان بالكتب لا يكفي فيه الإيمان المجمل، بل لا يصح إيمان المسلم حتى يُؤمن بما سماه الله تعالى من كتبهم كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم ونحو ذلك، وكذلك الإيمان بالرسل قد يُسلم به البعض إجمالاً ثم يكفر برسالة عيسى عليه السلام، فقد فعل ذلك بعض العصرانيين، وزعم أن عيسى عليه السلام ـ مصلح مجدد ـ وليس بنبي ولا رسول مع إقراره بركن الإيمان بالرسل فهل يعد هذا مؤمناً؟ لا. . فالله تعالى يقول عن وصف

المؤمنين: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه﴾ [البقرة:٢٨٥]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥]، ثم كيف نخرج هذه المسلَّمات والقطعيات - وأمثالها كثير - من العقيدة.

وهكذا الإيمان باليوم الآخر قد يدعيه من ينكر الحياة البرزخية، أو ينكر بعث الأجساد، أو ينكر الشفاعة والرؤية أوينكر الجنة والنار، ويصرفها - كما زعم أحد العقلانيين المعاصرين - بأن الجنة هي (المدنية الغربية)!! ويُقابله من زعم أن الدجال الذي ثبتت به النصوص القطعية، هو الحضارة الغربية.

وهذا أنموذج من تناقض أهل الأهواء وأدعياء العقلانية.

وكذلك الإيمان بالقدر، يُقرُّ به إجمالاً من يزعم أن الله لم يُقَدِّر أفعال العباد ولم يخلقها، أو بعضها وهم (القدرية)، لكنهم بذلك ينقضون أصل الإيمان بالقدر.

ونقول مثل ذلك في أركان الإسلام، فإن من يشهد أن لا إله إلا الله ثم يشرك مع الله غيره، لا تصح منه الشهادة وكذلك شهادة أن محمداً رسول الله، لا تصح ممن يستمد الدين من غير الرسول ﷺ. وإقام الصلاة لا يكفي فيه مجرد الإقرار بها، أوعملها دون شروطها وأركانها.

وهكذا بقية الأركان وأصول الدين ومبانيه لها شروط وأركان ولوازم وتفريعات قطعية، جاءت في قطعيات النصوص (القرآن والسنة) والتزمها السلف الصالح لذلك، لا من عند أنفسهم.

وحصر العقيدة في أركان الإيمان وأركان الإسلام مجردة عن أصولها وشرائطها وأركانهاولوازمها، وعن الأصول والقطعيات الأخرى الثابتة بالنصوص الشرعية مسلك هدَّام، إذ يقوم على تمزيق الدين وتجزئته، والإيمان ببعض والكفر بالبعض الآخر كما بينت آنفاً.

وقد آثار أهل الأهواء من (المستشرقين والحداثيين والعقلانيين والمنافقين ومن سلك سبيلهم) شبهة حول التفصيلات في مسائل العقيدة المتفرعة عن أصول الإيمان وأركان الإسلام، وهي ما عبر بها أحدهم بـ (تلك التفصيلات المحيرة التي استحدثت في أزمنة الصراعات الكلامية)[1] وهذا وصف صادق لعقائد الفرق الضالة فهي فعلاً أمور محيِّره، ومحدثات كلامية ولايصح ذلك أبداً في وصف عقيدة السلف، فالحق أن السلف (أهل السنة والجماعة) أنكروا تلكم المحارات والمحدثات والبدع، ولم يوردوا من التفصيلات في كتب العقيدة

(١) قراءة في كتب العقائد ٢٠.

على سبيل التقرير والإثبات إلا ما ثبت بالكتاب والسنة، وما كان من لوازم أصول العقيدة، وما يند عن ذلك من بعض الاستطرادات أو التجاوزات النادرة فليست هي المنهج.

أما ما وصف الكاتب ـ مما ذكرته أنفاً ـ فإنما ينطبق على مناهج أهل الافتراق والأهواء والبدع من الفرق الكلامية والصوفية والشيعية ومن سلك سبيلهم قديماً وحديثاً.